مجلة علم النفس

مجلد ٤ | يونيو ١٩٤٨ | عدد ١

المزاج العصبي

بحث تجريبي فى تشخيص الاضطراب النفسى العصبي

بقلم

ماى سميث D. Sc. و أحمد زكى M. Sc.

تجتمع فى كل فرد منا صفات وخلائق تجعل منه شخصية فريدة ذات وحدة تميزه عن سواه وأن الملاحظة العابرة لتبين لنا أن الناس لا يختلفون فى صفاتهم الجسمية أو العقلية وحدها ، بل إنهم مختلفون كذلك فى صفاتهم الوجدانية أو المزاجية . فلو اتفق شخصان فى مدى ذكائهما وقدراتهما النوعية فإن ذلك لن يكون دليلا كافياً على تشابههما فى النجاح فى حياتهما .

ولقد كان الصيت الكبير الذى أحرزه قياس الذكاء فى فروع علم النفس التطبيقى داعياً إلى المغالاة فى قيمته لدرجة حجبت أهمية العوامل الأخرى التى تؤثر فى سلوك المرء — غير أن كل مشتغل بدراسة الطبيعة البشرية مثل المعلمين والأطباء ورجال الصناعة . . . كل هؤلاء تقابلهم فى عملهم مشاكل لا تمت بصلة قريبة إلى الذكاء ، كما أننا نجد فى تعبيراتنا اللغوية أوصافاً متعددة لطبائع الناس وغير متصلة بقدراتهم العقلية : فهناك الشخص الشديد الحساسية لدرجة تعوقه فى عمله ، والشخص الذى يشعر بخوف ورهبة عند مخاطبته لرؤسائه ، والفرد الذى يحب أن تتجه الأنظار إلى عمله ، والمرء الذى تنازعه الرغبة إلى التفوق وهكذا . وإلى جانب هؤلاء الشخص الذى يجد متعه فى كل ما يقوم به من عمل ويرى فى الناس ، على اختلافهم ، نواحى تثير اهتمامه ، كما يجد فى عمله العادى جديداً فى كل يوم

ولقد اصطحبت المدنية الحديثة معها أعباء ثقالا تلقيها على كاهل الناس ناشئة من البيئة المعقدة . فأصبح لزاماً أن تهتم البحوث العملية بتيسير تكيف المرء لهذه البيئة — فبرزت مشاكل متعددة ليس من السهل فى كثير من الأحيان أن يوجد العلاج الشافى لها وأهمها الحالات العصبية التى تنتاب الأفراد ويتسبب عنها انحطاط جهدهم مع توفر ذكائهم ومهارتهم فى عملهم — وتشعب من ذلك البحث فى أسباب هذا الانهيار العصبى ولماذا يصيب بعض الأفراد دون غيرهم فى نفس البيئة مع توفر الظروف الملائمة للعمل .

وهذه المشاكل وإن تكن من مبتكرات العصر الحديث إلا أنها قديمة العهد . ونجد إشارة إليها فى العصور القديمة والوسطى وفى كتابات اليونان والعرب والرومان . كما أن كتّاب عصر النهضة وما بعده كانوا يلمسون فى الناس فروقاً فردية لا تمت بصلة إلى ذكائهم . ولكنها مع ذلك تلعب دوراً هاماً فى الصحة والمرض بل أحياناً فى الحياة والموت .

لذلك كان لا بد لنا أن نهتم إلى جانب القدرة العقلية بالناحية الوجدانية التى يعبر عنها عادة بالمزاج . ويعرفه سيرل بيرت بأنه « مجموع الصفات التى لا تتأثر بالذكاء ولاتدخل فى نطاقه » أو « النزعات التى تميل إلى الناحية الابتكارية والوجدانية أكثر من ميلها إلى النواحى الإدراكية والعملية » .

ونحن فى هذا البحث نحاول أن نتعرف هذه الاختلافات المزاجية والكيفية التى يستدل بها على وجودها . ولكننا لن نتعرض إلى أسبابها فهى ما زالت موضع أخذ ورد .

وللوصول إلى ذلك لا بد لنا من توجيه النظر إلى أن النمو الجسمى لكل فرد يتمشى معه عادة نموه فى الذكاء والمعارف والتكوين المزاجى — غير أن هناك أفراداً يتعثر نموهم العقلى وتنحط مداركهم وهم فى طريقهم إلى الرشد ، كما أن هناك أفراداً يتعثر نموهم المزاجى فلا يصلون إلى النضج الكامل فى هذه الناحية .

ومن المعروف أن القليل من الناس من يصلون إلى الكمال فى نموهم الجسمى أو العقلى ، وكذلك قليل أيضاً هم الذين يتزن كيانهم المزاجى اتزاناً كاملا — فقد يحدث أن انفعالا خاصاً تزداد حدته بدون سبب معقول ويخرج عن سلطان الشخصية فى مجموعها . فهذا الجموح هو موضوع هذا البحث فهو محاولة لدراسة ما نسميه

بالمزاج المضطرب أو قصور التكيف الوجدانى . وكثيراً ما نسمى ذلك « المزاج العصبى » وهذا الاصطلاح ميراث من بحوث الأمراض النفسية فى القرن الثامن عشر(١) .

وإن كلمة « عصبى » قلما نعنى بها اختلالا فى الوظيفة العضوية للأعصاب . ولكنا نعنى بها اضطراباً فى الاتزان الوجدانى يظهر أثره فى السلوك الشاذ أو الانهيار فى الجهد ، أو القلق فى العمل ، أو الاكتئاب المستمر فى غير مبرر .

ومن الانفعالات التى كثيراً ما تخرج عن الحد المألوف فى التعبير عن نفسها « الخوف » . وانفعال الخوف بما يصاحبه من تكييف عضوى ونفسى هو منفذ له قيمته الحيوية فى بقاء الجنس . غير أن سلامة الصحة النفسية تتطلب أن يكون سبب الخوف ووسيلة التعبير عنه متناسبين مع الموقف . فبينما نجد بعض المخاوف طبيعية لها ما يبررها ، فمنها ما ليس له مبرر ، وهذه الحالة العصبية Nervous قد تتحول إلى حالة عصابية Neurotic and psycho-neurotic .

بعض الأبحاث الحديثة فى الاضطرابات العصبية

١ — لاحظت الجهات المختصة بإنجلترا أن بعض عمال التلغراف يصابون بما يعرف بحالات التصلب التى تؤثر فى إنتاجهم . فتوجهت تلك الجهات إلى مجلس الأبحاث الصحى للصناعة لتعرف الأسباب التى تؤدى إلى حالات التصلب المذكورة فأجريت على المصابين اختبارات خاصة بالتوافق العصبى العضلى ، ثم أجريت لهم استبارات شخصية فوجد أن : ٧٥ ٪ من المصابين بالتصلب كانت تبدو عليهم دلائل من الاضطراب العصبى ولقد كان أثر ذلك واضحاً فى عملهم بين فقدان تام للقدرة على العمل إلى تعذر كتابة حروف معينة .

٢ — وتشعب هذا البحث فتناول مجموعات أخرى يزيد عدد أفرادها على الآلف بين موظفين فى مصالح الحكومة ، وبعض البيوت التجارية والصناعية ، وطلاب — تشمل كلا الجنسين وتراوحت سنهم ما بين الرابعة عشرة والستين . وتنوعت التجارب التى أجريت عليهم وتعددت الاختبارات من موضوعية وذاتية .

(١) تداول استعمال كلمة « عصبى » فى أوروبا حوالى منتصف القرن الثامن عشر نتيجة للبحوث الفسيولوجية ، التى قام بها هالر Haller على الاتصالات العصبية . واستعمال كلمة «اضطراب» و «تهيج» فى وصف الخاصة الفسيولوجية للأعصاب قد رجحت وجود علاقة مع حدة الطبع أو تهيجه ، وأدت إلى القول بأن هناك علاقة بين الحالة العقلية العصبية وبين الأعصاب العضوية

٣ ــ واستقر الرأى بعد تجارب طويلة على استخدام اختبار وضعه وابتدع جهازه العلامة مكدوجل فى بحوثه على الانتباه الإرادى واستمراره ويعرف بجهاز التنقيط وكذلك الاستبار الشخصى لكل فرد على حدة

وصف جهاز التنقيط : عبارة عن قرص دائرى قطره ٣٢,٦ سم رسمت عليه دوائر صغيرة عددها ٣٥٠ فى شكل حلزونى (انظر الشكل صفحة ١٠) . والخط الحلزونى ينتهى فى دورتين من دورات القرص والمسافة بين كل دائرتين متعاقبتين فى اتجاه الحركة تساوى ٥ ملليمتراً . ولكن قد تنحرف الدائرة فى اتجاه عرضى على اتجاه الحركة بما لا يزيد على ٧ ملليمتراً . وهكذا تتوزع النقط على جانبى الخط الحلزونى .

كيفية الاستعمال : يوضع القرص المنقط على قرص معدنى يدور فى وضع أفقى بسرعة منتظمة . ثم يثبت فوقه غطاء ذو فتحة مستطيلة عرضها بوصة واحدة تظهر منها الدوائر واحدة بعد الأخرى عند دوران القرص .

ولاستعماله يرتكز الشخص بيده على الغطاء ثم يصوب سن قلمه نحو الدوائر بمجرد ظهورها فى الفتحة . ويبدأ تصويبه من الطرف الداخلى للحلزون ويستمر فى هذه العملية حتى يصل إلى الطرف الخارجى له . فظاهر أن سرعة تتابع النقط تزداد تدريجياً كلما سرنا من الداخل إلى الخارج .

ميزات الاختبار : يمتاز هذا الاختبار إلى جانب الاعتبارات النظرية بالمزايا الآتية :

(١) سرعة الإجراء (٢) أنه مثير للاهتمام والمغالبة (٣) أنه من الاختبارات العملية القليلة التى يبذل الراشدون فيها جهداً جدياً .

قياس النتائج : يقاس مدى أداء الفرد فى هذا الاختبار بالمعيارين الآتيين معاً :

١ ــ بعدد الدوائر التى يصيبها الشخص قبل أن ينهار جهده . ويكون هذا الحد عند ما يخفق الشخص فى إصابة خمسة دوائر متعاقبة .

٢ ــ بعدد الدوائر التى يحاول إصابتها بعد نقطة الانهيار محسوبة كنسبة مئوية من باقى دوائر القرص ويكون أداء الشخص ضعيفاً فى هذا الاختبار فى الأحوال الآتية :

(ا) عند ما يدرك الشخص النقط التى يصوّب نحوها ، ولكنه لا يستطيع أن يكيف السرعة اللازمة لحركة يده .

(ب) عندما يكون التكيف ممكناً ولكن القدرة على إدراك العلاقات بين النقط المتتابعة أبطأ مما يجب .

(ج) عند ما يفقد توافقه بالرغم من سلامة أعضائه الجسمية وقواه العقلية .

(د) عند ما يكون « مدفوعاً » بشدة نحو الإتقان ، فبدلا من حصر الانتباه فى عملية التصويب ، يوجه انتباهه نحو نفسه . فكأن ذاته هى موضع الاهتمام وليس العمل الذى هو بصدده .

وهكذا نرى أشخاصاً يقبلون على التصويب فى عنفوان وشدة ، وآخرون يتركون بعض النقط عمداً ثم يستأنفون محاولتهم ، وغيرهم يصوبون فى غير جهد وفى غير تتابع منظم .

الاستبار الشخصى : أن نجاح شخص فى أى عمل يتوقف بالإضافة إلى مدى ذكائه وقدراته النوعية على جملة عوامل أهمها : (١) قدرته على تهيئة نفسه للتعامل مع رؤسائه وزملائه ومرءوسيه (٢) قدرته على صحة الحكم على نفسه (٣) قدرته على تكييف نفسه للظروف التى تحيط به فى عمله وحياته العامة .

وللحصول على المعلومات التى تلقى ضوءاً على تلك العوامل المتقدمة كان من الضرورى الالتجاء إلى الاستبار الشخصى interview . ولم يتقيد هذا الاستبار بأسئلة معينة موضوعة ، بل ترك الشخص ليتكلم على سجيته وليستفسر عن الصعوبات التى تعترض حياته بقصد التغلب عليها . وكانت هذه المتاعب فى الغالب دليلا على نوع الصعاب التى يواجهها والتى تسبب اضطرابه العصبى .

وكان بعض المختبرين يصفون أنفسهم بأنهم « عصبيون » لأنهم كانوا يشعرون بشىء من الاضطراب أثناء تأديتهم لامتحان ما ، أو عند بدئهم لعمل جديد . ولكن هذه الاضطرابات ما دامت لا تعوق الشخص عن أداء عمله أو تسبب له قلقاً شديداً فإنها عديمة الأهمية وليست علامة على وجود حالات « عصبية » ، بل إنها رد فعل طبيعى للفرد نحو الحذر من كل جديد وكثيراً ما يتغلب عليه الشخص بازدياد خبرته .

أما الصفة المميزة للحالات العصبية فهى التى يشعر الشخص بثبوتها مع عدم وجود مبرر لها . ولا يخفى أن تلك الأعراض العصبية متشعبة الأنواع ومختلفة باختلاف الأشخاص . غير أن فيها من أوجه الشبه ما يبرر تقسيمها إلى طوائف معروفة من

الوجهة النفسية . ونستطيع مما يبدو منها فى الحالات الشعورية أن نتبين طائفتين رئيسيتين من الأعراض تختلف كل منهما عن الأخرى فى صفاتها وفى وسائل التعبير عنها فى الحياة العادية :

(ا) أعراض فى صورة انفعالات ظاهرة غالباً ما تكون طبيعتها الخوف تبدو فى تصرفات الإنسان عامة أو فى مواقف معينة كالخوف من الظلام وما يتصل بالظلام ، أو الخوف من التعرض للأنظار فى مكان عام أو أثناء تأدية العمل — حتى ولو كان الشخص بارعاً فيه — إلى درجة تعوق تصرفه الطبيعى أو سلوكه العادى ، أو الخوف من كل ذى سلطة ، أو القلق من حكم الناس على نتيجة عمله .

والشخص الذى تظهر عليه هذه الأعراض يكون دائماً متوتر الأعصاب إذا كان فى مركز رئيسى ، كمركز المدرس فى فصله مثلا — فتراه سريع التهيج مع مرءوسيه ، دائم النقد لأعمالهم ، يصعب الاطمئنان إليه — ومثل هذا الشخص ينتسب إلى طائفة تطلق عليها طائفة « القلقين » Anxiety group. .

(ب) أعراض تتميز بدافع قوى لا مبرر له . فيشعر الشخص بقوة تدفعه إلى أفكار معينة ذات انفعال مؤلم . أو من نوع تافه أو تقديرية محضة . ويشعر الشخص فى كل حالة أن ما يعتريه ليس له ما يبرر وجوده — وأصحاب هذه الأعراض يجهدون أنفسهم فى العمل عادة حتى إذا انهارت قواهم نسبوا ذلك الانهيار إلى الإرهاق . فى حين ان الإرهاق عرض فى حد ذاته .

ونطلق على مثل هؤلاء الأشخاص طائفة الموسوسين Obsessional group. . وهم فى الغالب ذوو عقليات ممتازة . ولكن الصراع الذى يدفعهم فى بذل جهد كبير يقف حائلا فى سبيل بلوغهم غاية كفايتهم .

(جـ) والعاديون هم الذين لا تبدو عليهم أثناء الاستبار الشخصى من الأعراض السابقة ما يميزهم . ويقال إنهم ذوو الانفعالات المتزنة أو المتجانسة Emotionally balanced .

نتائج بحث مجموعة لندن :

كما تقدم ذكرنا أنه أجرى على هذه المجموعة الاستبار الشخصى ، واختبار جهاز التنقيط وكان عددهم أكثر من ١٠٠٠ شخص بين رجال ونساء من مهن مختلفة .

وبوجه عام تبين من فحصهم أن ما نسميه الشخص « العصبى » ليس قاصراً على مهنة خاصة أو جنس معين بل يوجد على السواء فى الذكور والإناث وفى مختلف أنواع المهن .

ولكى تمكن المقارنة بين نتائج هذه المجموعة وما سيتبعها من بحث مماثل فى مصر ، عزلنا الإناث وحدهن ، ويبلغ عددهن ٥٤٦ .

وقد أمكن تقسيمهن طبقاً للأعراض التى بدت فى الاستبار الشخصى إلى المجموعات الثلاث السالفة الذكر :

(ا) الخاليات من الأعراض أى ذوات الانفعالات المتزنة .

(ب) القلقات : وهن ما تجمعهن أعراض ذات صبغة انفعالية كالخوف أو الغضب بدون سبب مبرر .

(جـ) الموسوسات : وهن ما يبدو عليهن ، فوق ما تقدم من الأعراض السابقة الذكر ، الاهتمام الكثير بضبط النفس واتباع أكثر الطرق مقاومة .

وليس لنا أن نفهم من ذلك أن التمييز القاطع بين هذه الطوائف ميسور ، غير أن أكثر الناس يبدو عليهم من الأعراض ما يبرر انتماءهم إلى واحدة من هذه الطوائف .

أولا : الجدول الآتى يبين توزيع « النتائج » لمن أجرى الاستبار الشخصى عليهن لهذا الغرض وهن ٥٤٦ فتاة بين طالبات وموظفات فى مثل مستواهن .

ومنهن ١٧٠ فتاة طالبات

ومنهن ٥٩ فتاة طالبات فى معهد من معاهد التربية .

	٥٤٦ فتاة		١٧٠ طالبات		٥٩ طالبات المعاهد	
المجموعة	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
الخاليات من الأعراض	٣٥٢	٦٤.٥ ٪	٩٣	٥٤.٧ ٪	٢٨	٤٧.٥ ٪
مجموعة القلقات	١٤٠	٢٥.٦	٥٠	٢٩.٤	٢٢	٣٧.٣
مجموعة الموسوسات	٥٤	٩.٩	٢٧	١٥.٩	٩	١٥.٢

ثانياً : العلاقة بين اختبار التنقيط ، والأعراض العصبية

أجرى اختبار التنقيط على كل الفئات السابقة وقد حسبت النتائج كما وضحنا سابقاً على الطريقة الآتية :

١ ــ عدد الدوائر التى أصيبت قبل حد الانهيار (أى قبل الإخفاق فى إصابة خمس دوائر متتابعة) .

٢ ــ عدد الدوائر التى حاول الشخص إصابتها بعد حد الانهيار محسوباً كنسبة مئوية من عدد الدوائر الباقية .

وهنا يلاحظ أن المختبرات يختلفن فى سلوكهن بعد أن يشعرن أنهن فقدن السيطرة على العملية فبعضهن قمن بالعملية بشكل عشوائى ، وأخريات أهملن التنقيط فترة حتى يستجمعن قواهن مرة أخرى ، وبعضهن أعطين أنفسهن فترات راحة أثناء محاولة التصويب .

وفيما يلى جدول يبين العلاقة بين اختبار التنقيط والأعراض العصبية مقدراً بعدد الدوائر التى أصيبت قبل نقطة الانهيار . والرقم المدون فى كل خانة يمثل المتوسط لأفراد المجموعة :

عدد الأفراد	عدد النقط فى المجموعة الخالية من الأعراض	فى مجموعة القلق	فى مجموعة الوسوسة
٥٤٦	١٧٤ ± ٢,٠	١٥٦ ± ٢,٩	٢١٥ ± ٧,٨
١٧٠ طالبة	١٦٢ ± ٥,٢	١٣٠ ± ٥,٣	١٨١ ± ٦,٠

(الرقم المسبوق بعلامة ± يمثل الانحراف القياسى) .

وقد وضحت العلاقة بين الفئات المختلفة ومناسيبها فى اختبار التنقيط بالرسم البيانى فى الصفحة المقابلة .

ومن دراسة الرسم البيانى والجدول السابق له يتضح لنا :

١ ــ أن أداء « مجموعة القلق » فى اختبار التنقيط أقل مستوى من أداء المجموعة الخالية من الأعراض العصبية . وهذه الظاهرة قد لوحظت فى اختبار عاملات التلغراف المصابات بالتصلب والذى أشير إليه سابقاً (صفحة٥)

٢ ــ أن أداء مجموعة « الوسوسة » على وجه العموم يبلغ مستوى عالياً ، وبينما يصل بعض أفراد هذه المجموعة إلى حد لا يبلغه أى فرد من مجموعة العاديين إلا أنها ليست قاعدة مطردة فى كل فرد . فحسن الأداء فى هذا الاختبار يتطلب تكاتف جملة عوامل فمثلا الموسوس الذى يفتقر إلى حدة البصر ، وتكون حركاته بطيئة ، أو لا يرتاح إلى مراقبته أثناء عمله ، كل ذلك قد يؤثر فى إنتاجه . على أن الغالبية العظمى كما ذكرنا لهم إنتاج ممتاز كما أن الإصرار والعزم اللذين يبرزهما الشخص الموسوس أثناء التصويب واضحان كل الوضوح .

رسم بيانى يمثل النسبة المئوية لتوزيع الطوائف المختلفة فى اختبار التنقيط

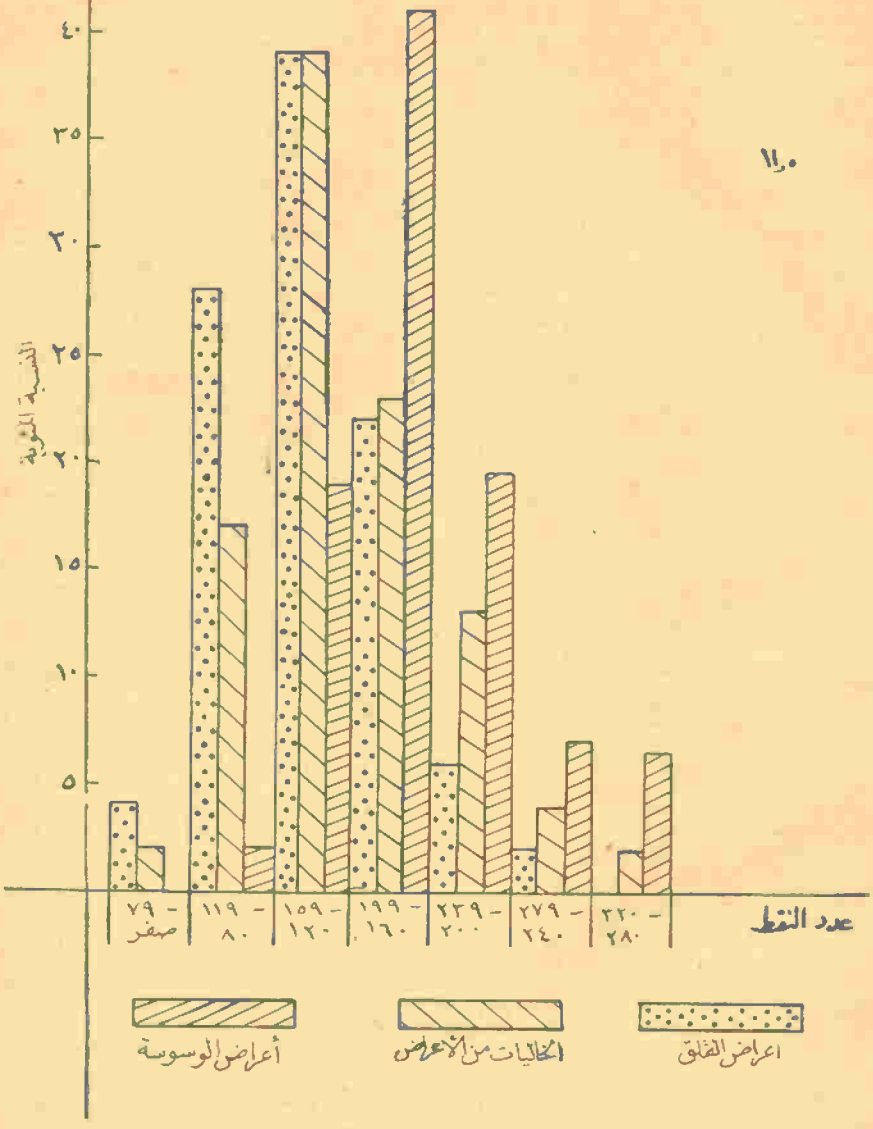

والجدول الآتى يبين توزيع التنقيط بين المجموعات بعد نقطة الانهيار . مقدراً بالنسبة المئوية لعدد الأفراد فى كل مجموعة :

	النسبة المئوية الدوائر التى حاول الشخص إصابتها بعد نقطة الانهيار من مجموع الدوائر الباقية فى القرص				
المجموعة	٩٠٪	٧٠–٩٠٪	٥٠–٧٠٪	٣٠–٥٠٪	٣٠٪–
العادية	٥.٤٪	١٩.٣٪	٤٣.٦٪	٣٠٪	١.٥٪
القلقة	١.١	١٧.٨	٢٨.٩	٤٦.٧	٥.٦
الموسوسة	٢٢.٢	٣٧.٠	٢٩.٦	٧.٤	٣.٧

ويتضح من الجدول السابق أن أكثر من ٢٢ ٪ من الموسوسات يحاولن ٩٠ ٪ على الأقل مد الدوائر الباقية بعد نقطة الانهيار بينما ١٪ فقط من أفراد مجموعة القلق يصلن إلى هذا المستوى وكذلك حوالى ٥ ٪ فقط من الخاليات من الأعراض يبلغن هذا الحد .

إجراء البحث فى مصر والغرض منه :

وقد اتجهت الفكرة إلى إجراء بحث مماثل على طالبات السنة النهائية لمعهد التربية للمعلمات بالزمالك . وهن اللاتى سيتخرجن فى نهاية العام الدراسى ليكن مدرسات فى المدارس الثانوية أو الابتدائية للبنات .

وكان الدافع إلى هذا الاختبار هو أن الاتزان الوجدانى عنصر أساسى تتطلبه طبيعة عمل المدرسة وأن الاضطراب الوجدانى مما يفسد عليها رسالتها من حيث علاقتها بالتلميذات ومعاملتها لهن ، خصوصاً إذا تعرضت لشىء من ضغط العمل الذى كثيراً ما يحدث فى هذه المهنة .

وقد جرت العادة فى اختيار الطالبات لهذا المعهد وأمثاله من معاهد تخريج المعلمين ، أن يجرى استبار شخصى للمتقدمين يقصد من ورائه التعرف إلى شخصية الطالب أو الطالبة وما ينتظر أن تكون عليه كمدرسة ومدى حبها للناشئين ولهجتها فى الكلام وأسلوبها . وكثيرا ما يخدع المظهر فلا يكون الحكم سليما وتتدخل فيه العوامل الذاتية التى تختلف من شخص لآخر(١) فضلا عن أن الاستبار قد لا يعمق إلى درجة تكشف عن استقرار حياة الشخص الوجدانية ، ذلك الاستقرار

(١) راجع مقال الاستبار الشخصى فى العدد السابق من نفس هذه المجلة لصاحبى هذا البحث

الذى يكفل إلى حد كبير نجاح المدرسة فى مهنتها .

لذلك وجدنا أنه من المفيد أن نكشف عن اختبار موضوعى يمكن من نتائجه تمييز الحالات المضطربة أى الصعبة التكيف من الناحية الوجدانية . وهؤلاء تمكن أن نقصيهم عن مشقة مهنة التدريس حرصاً على مصلحة التلاميذ ورفقاً بأنفسهم . وبذلك نخطو خطوة موفقة نحو الاختيار المهنى ونقدم للتلاميذ أصلح العناصر التى تتولى تهذيبهم وتعليمهم .

التجربة : استخدمنا نفس الطريقة التى اتبعت فى البحث الذى أجرى فى لندن والذى أشير إلى نتائجه فيما تقدم . وانتفعنا بإشراف الأستاذة الزائرة الدكتورة ماى سميث التى قامت بهذا البحث فى لندن . فتولت عملية الاستبار الشخصى . ثم أجرينا اختبار التنقيط بعد ذلك . ولقد قام لديها الشك فى مبدأ الأمر فى أن تقبل الطالبات المصريات على التحدث بصراحة فى شئونهن الخاصة مع سيدة أجنبية . ولكن دلت التجربة على أن قيامها هى بالذات بالاستبار الشخصى ميزة بدلا من أن يكون عائقاً وذلك لجملة أسباب منها أنها سيدة ممتازة وذات شخصية محبوبة يسهل الاطمئنان إليها والثقة بها فضلا عما لها من خبرة سابقة فى هذا النوع من العمل . وفوق ذلك فإنها زائرة لمدة محدودة وأنها أجنبية ليست لها صلة شخصية ولا معرفة بالطالبات وهذا يجعلهن غير هيابات فى الكلام بصراحة عن شئونهن الخاصة والمتاعب التى تعتور حياتهن وبذلك يسهل التغلغل فى نفوسهن وتفسير الأعراض التى تنتابهن فلم تقم صعوبة ما فى سبيل إفضائهن بذات نفوسهن وساعد المهمة تمكنهن من اللغة الانجليزية بحيث كان التفاهم ميسوراً واضحاً ومما تجب الإشارة إليه أن عدد المفحوصات كان قليلا بالنسبة لمجموعة لندن . ولا يصح أن يصدر عن هذا العدد حكم عام . إلا أن النتائج كانت متفقة إلى حد كبير مع بحث لندن مما يضفى عليها قيمة وأهمية ومغزى كما سيتبين فيما بعد .

وقد لوحظ أن الطالبات المصريات — كالإنجليزيات — كن يصفن أنفسهن بأنهن عصبيات عندما يجدن أنهن يعانين من صراع وجدانى حتى ولو كان مقبولا معقولا . وغير خاف أن مثل هذا الصراع له ما يبرره فى مرحلة الانتقال الحالية بين الجديد الدائم التغيير حولهن . وبين المحافظة على تقاليد البيئة فى كنف آبائهن . ويجب علينا أن نميز بين هذه الحالة وبين حالة الأعراض العصبية الحقيقية التى

هى نتيجة للتعبير عن صراع بذوره فى اللاشعور ولا يقدر الشخص على كبحه مع أنه يدرك طبيعته الشاذة .

وكان عدد الطالبات ٦٨ كلهن كما تقدم فى السنة النهائية . وقد أجرى عليهن الاستبار الشخصى واختبار جهاز التنقيط السالف الذكر . وهو اختبار موضوعى لأبعد حد . ومقياس موحد بين الجميع وخال من الصعوبات اللغوية .

نتيجة الاستبار الشخصى :

كانت كل طالبة تقضى حوالى ٢٠ دقيقة فى حديث متشعب مع السيدة الأستاذة يتبين منه تصرفها فى المواقف المختلفة وتلبيتها لمقتضيات البيئة المتعددة النواحى . وتعاملها مع زميلاتها ، ورؤسائها ، والصغار الذين تعاشرهم . وشعورها نحو العمل الذى تؤديه . . . الخ . كما أطلق لها العنان لتتكلم عن مخاوفها ومتاعبها وآلامها .

وبهذه الطريقة أمكن فى ضوء ما يظهر من الأعراض التى سبق الكلام عنها فى صفحة ٨ أن نقسم الطالبات إلى الطوائف الثلاث التى اصطلحنا عليها وكانت النتائج كما يأتى :

الطالبات الخاليات من الأعراض	عددهن	٤٠ أى بنسبة ٥٨,٨ ٪ إلى المجموع
الطالبات ذوات أعراض القلق	«	١٧ أى نسبة ٢٥ ٪
الطالبات ذوات أعراض الوسوسة	«	١١ أى بنسبة ١٦,٢ ٪

نتيجة اختبار التنقيط :

كان إجراء هذا الاختبار يسبق مباشرة الاستبار الشخصى حتى تكون الطالبة خالية الذهن من كل ما يفسد عليها عملها — ولم يسبق لواحدة منهن أن مارست هذا الاختبار من قبل فتساوت بذلك فرص الجميع فيه .

وقد أخذت النتائج بنفس الطريقة التى اتبعت فى بحث لندن أى عدد النقط التى أصابها الشخص قبل الانهيار ثم النسبة المئوية للأداء بعد ذلك .

والجدول الآتى يبين متوسط عدد الدوائر التى أصيبت قبل نقطة الانهيار فى كل طائفة :

الطائفة	متوسط عدد الدوائر التى أصيبت قبل الانهيار
العاديات	١٤٠ ± ٤,٩٢
القلقات	١١٧ ± ٥,٧١
الموسوسات	١٦٣ ± ٨,٣٦

(الرقم المسبوق بعلامة ± هو الانحراف القياسى)

وبمقارنة هذه النتيجة السابقة بنتيجة مجموعة لندن المدرجة فى صفحة٩ نجد أن نفس الاتجاه ظاهر من حيث أن طائفة القلقات أكمل نجاحاً فى أدائها للاختبار من طائفة العاديات ، بينما الموسوسات فى مجموعهن أعظم نجاحاً .

ومما يلاحظ أن متوسط كفاية طالبات القاهرة فى هذا الاختبار لكل الطوائف أقل من زميلاتهن الانجليزيات مع أنهن جميعاً لم يسبق لهن خبرة به . ويرى هذا الفرق أكبر وضوحاً بعد نقطة الانهيار . فإنه عندما يجد المفحوص أن مرور الدوائر تحت بصره أصبح أسرع مما يمكنه من إصابة كل منها فإن سلوكه يتخذ إحدى الطرق الثلاث الآتية :

١ — ييأس من المتابعة بالرغم من تشجيع المختبر .

٢ — يقرر فى نفسه أنه لا يستطيع إصابة كل دائرة — فيعمل على أن يترك بعضها ويحاول إصابة البعض الآخر .

٣ — يقوم بمحاولات طائشة بغية إصابة كل دائرة . ولذلك قد يخطئ التصويب المحكم فى كل منها ولكنه يحاول أقرب ما يمكن إليها .

وهذه الاحتمالات الثلاثة تمثل الفروق بين الطوائف المختلفة — ولحسابها تحصى عدد النقط التى حاولها الشخص بعد الانهيار (ولا يقصد الإصابات الصحيحة بل مجرد المحاولة) وبما أن نقطة الانهيار تختلف من شخص إلى آخر فيحسب عدد النقط كنسبة مئوية من عدد الدوائر الباقية على القرص . ولتوضيح ذلك بمثال نفرض أن شخصاً بلغ نقطة الانهيار (أى أخطأ فى إصابة خمس نقط متتابعة) بعد إصابة ٢٠٠ نقطة . فإن الباقى من دوائر القرص هو ١٥٠ . فلو أنه حاول إصابة ٣٠ نقطة بعد ذلك فإن $\frac{٣٠}{١٥٠}$٪ أى ٢٠٪ هى النسبة المئوية المشار إليها وهذه النسبة تتراوح نظرياً بين صفر ، ١٠٠ وعلى هذا الأساس يمكن التقسيم إلى الطوائف المختلفة .

والجدول الآتى يبين نسبة توزيع طالبات القاهرة من حيث أدائهن للاختبار بعد نقطة الانهيار لكل طائفة :

الطائفة	عدد الحالات	النسبة المئوية للمحاولة بعد نقطة الانهيار				
		٧٠.٧٩	٦٠.٦٩	٥٠ . ٥٩	٤٠ . ٤٩	٣٠ . ٣٩	٢٠ . ٢٩
العاديات	٤٠	١٢,٥	١٧,٥	١٧,٥	٢٥٪	٢٠٪	٧,٥٪
القلقات	١٧	—	—	١٧,٧	٤١,٢	١٧,٧	٢٣,٥
الموسوسات	١١	٢٧,٣	٣٦,٤	٣٦,٤	—	—	—

ويتبين من مقارنة الجدول السابق بمثله فى مجموعة لندن أن هناك تشابهاً كبيراً فى النتائج من حيث أن طائفة الموسوسات يحاولن عدداً أكبر كبيراً من الطائفتين الأخريين .

ولو أننا أخذنا ٧٠٪ كحد فرضى فاصل فاننا نجد فى مجموعة لندن أن أكثر من ٥٩٪ من الموسوسات يتخطين هذا الحد فى حين يتخطاه فقط ١٩٪ من القلقات ، ٤١٪ من العاديات وكذلك فى مجموعة القاهرة نجد نفس الاتجاه أى أن اللائى تتخطينه ٢٧٪ من الموسوسات ، ١٢٪ من العاديات ولا أحد من القلقات .

ولا بد لنا من الإشارة إلى أن هذا الاختبار تظهر قيمته فى الحالات المتطرفة فقط . فهناك عدد كبير من الناس لا نستطيع تشخيصهم من نوع التنقيط الذى يؤدونه .

ومما تجدر ملاحظته أيضاً أن أداء هذا الاختبار يتمشى إلى حد كبير مع الذكاء . ولهذا السبب كانت مقارنتنا فى النتائج قاصرة على المجموعات المتوازية فى المستوى العقلى (أى مجموعتى الطالبات فى لندن والقاهرة) — فلو أننا أجرينا هذا الاختبار على شخص فى مستوى عال من الذكاء وكانت نتيجته ١٥٠ نقطة قبل الانهيار ثم حاول ٣٠٪ من مجموع النقط الباقية بعد الانهيار فإن هناك احتمالا كبيراً فى انتماء هذا الشخص إلى مجموعة القلقين — ولو أن نتيجته كانت ٣٠٠ نقطة قبل الانهيار ، ٨٠٪ بعد الانهيار لكانت الشبهة فى انتمائه إلى مجموعة الموسوسين

وفيما يلى صورة طبق الأصل لأداء طالبتين إحداهما تمثل مجموعة القلقات والأخرى تمثل طائفة الموسوسات .

ونجد الصفات التى سبق الكلام عنها واضحة مميزة لكل منهما :

فى أداء حالة القلق نرى تراخياً فى التنقيط ، وعدد الإصابات منخفض إذ يبلغ ١٢٥ قبل نقطة الانهيار والنسبة لما تحاوله الطالبة بعد هذه النقطة لا تتعدى ٣٨٪

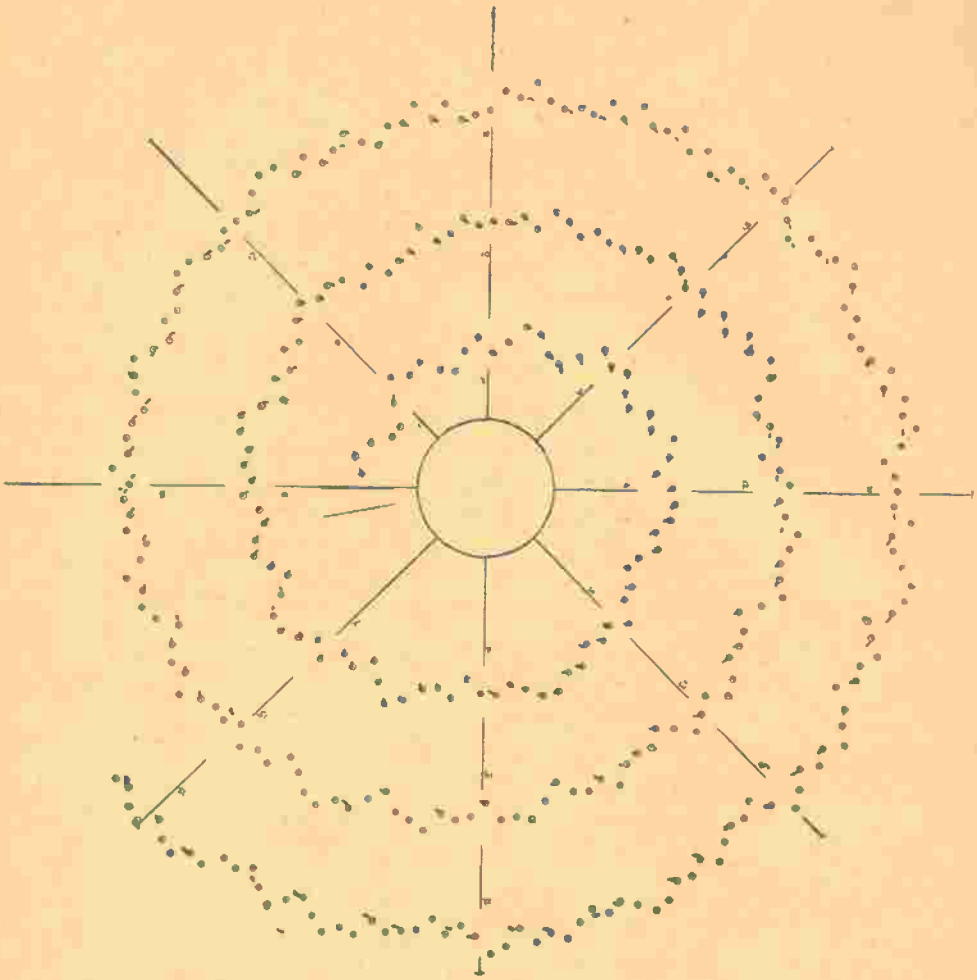

حالة قلق

أما فى أداء حالة الوسوسة نجد الدفع واضحاً فى الجهد المبذول فى التنقيط فيكثر عدد الإصابات ويصل إلى ١٧٣ وهو أكثر ما يكون وضوحاً بعد نقطة الانهيار حيث نلاحظ المحاولات الطائشة طلباً فى إصابة كل نقطة والنسبة تصل هنا إلى ٨٣٪

احتمال الانهيار فى الشخص « العصبي »

كثيراً ما يتساءل الأشخاص العصبيون وعلى الخصوص الموسوسون منهم إذا ما كانت أعصابهم ستتحطم أو أنهم سيصابون بالجنون . ولمحاولة الإجابة على هذا التساؤل الذى كثيراً ما يبرز أثناء الاستبار الشخصى نقول بأن العرض العصبى هو

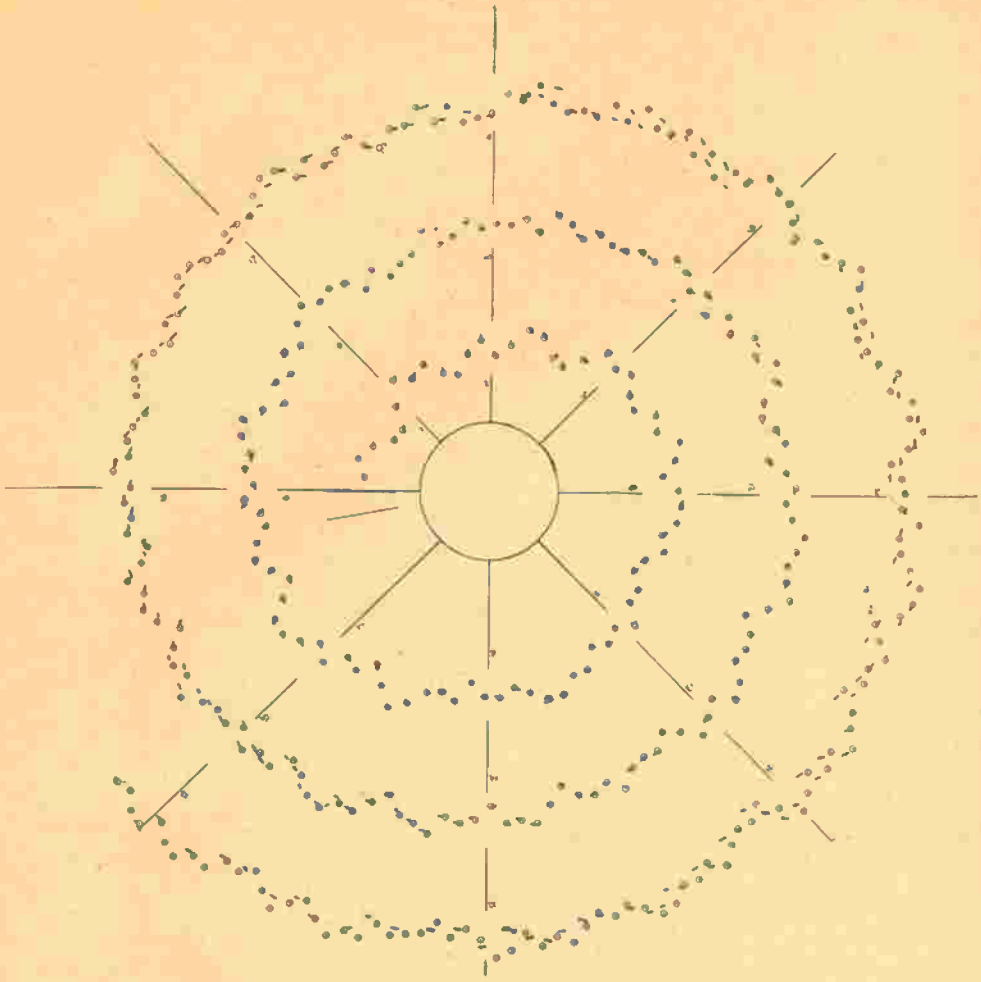

حالة وسوسة

تعبير عن التفاعل بين الشخص وبيئته فلو أن البيئة لم تكن من نوع يثير هذا العرض فإن احتمال الانهيار قليل — وعلى العكس من ذلك يقوى هذا الاحتمال فى البيئة التى تهيء استثارته .

فالبيئات التى تتميز بالصرامة فى نظمها ، والكفاية غير المحدودة غالباً ما تثير الصعاب فى وجه الناس العصبيين .

غير أن هؤلاء إذا ما تفهموا حالتهم بشيء من حسن التوجيه ، وإذا ما توفرت لهم البيئة المناسبة فإنهم يصبحون سعداء أكفاء .

وهكذا نرى أن دراسة مشكلة الشخص العصبي ذات أهمية عملية كبيرة — إذ

أن بعض الأشخاص العصبيين خصوصاً الذين يصعب عليهم تفهم أنفسهم يكون أثرهم سيئاً فيمن يتولون أمرهم كالمعلم فى تلاميذه أو الرئيس فى مدرسته أو مهنته أيا كانت .

تذييل :

ولا يخفى أن تلك الأعراض فى حالتى الوسوسة أو القلق قد تزداد وطأتها وتصبح حالة مرضية شديدة تفسد على صاحبها حياته . ولما لها من الأهمية قد تناولها كثير من الباحثين وعددوا لها كثيراً من المميزات الجسمة والعقلية أحدثها ما وضعه Raymond Cattell فى كتابه Despcrition and Measurement of Personality نورده فيمايلى :

أعراض مرضى القلق النفسى : Anxiety Neurosis

(١) حساسية شديدة غير عادية بتوتر نفسى أو خوف .
(٢) حالات من الإغماء أو النوبات الخالية من التقلصات .
(٣) سرعة فى دقات القلب .
(٤) خفقان وشعور بألم اختناق .
(٥) رعدة وتقلص فى العضلات .
(٦) إفراز العرق من اليدين والقدمين فى الليل .
(٧) فقدان الشهية ، وجفاف فى الحلق ، وامتلاء فى المعدة .
(٨) ضيق فى التنفس .
(٩) إمساك أو إسهال .
(١٠) أرق .
(١١) حساسية خارقة للضوء أو الصوت . . . الخ .
(١٢) شعور بالهبوط أو سرعة التهيج .
(١٣) عدم الاستقرار وفقدان القدرة على التركيز .
(١٤) تذبذب فى ضغط الدم مع برودة وزرقة فى الأطراف .
(١٥) ضعف فى الأرجل وزوغان فى البصر .
(١٦) تبول متكرر على فترات متقاربة . وفى الحالات الشديدة توجد الأعراض الآتية :
(١٧) قلق أو خوف أو ألم نفسى شديد فى مواقف معينة وعلى الأخص فى الأماكن المقفلة مثل قطارات السكة الحديدية .

(١٨) قلق أو خوف أو ألم نفسى شديد فى المجتمعات الكبيرة أو فى الساحات الواسعة .

(١٩) الخوف من الجنون مع تعدد النوبات الهستيرية .

(٢٠) الخوف من الأمراض العضوية .

(٢١) الخوف المبالغ فيه من الأماكن المرتفعة .

(٢٢) الخوف الذى لا مبرر له من الحريق مثلا أو القطط أو عند الإقدام على فض خطاب ، أو من الحشرات أو الرعد .

(٢٣) كثرة الفزع فى الليل أو حدوث الكابوس .

أعراض مرض الوسوسة والقهر Obsessional and Compulsion Neurosis .

(١) الانشغال المستمر بفكرة ثابتة تكون عادة من نوع تافه ويعرف المريض أنها كذلك .

(٢) التشكك ومعاودة التفكير فى الأمور البسيطة .

(٣) الشعور بوجود قوة دافعة إلى القيام بعمليات لا قيمة لها مثل قراءة لوحات الشوارع أو طى الملابس بشكل خاص لا يتغير .

(٤) وجود قوة دافعة إلى أعمال غير ضرورية مثل عد النوافذ ، ترديد نغمة أو جملة معينة ، لمس بعض الأشياء ، الاغتسال على فترات قصيرة متعددة

(٥) الخوف من الاندفاع إلى إتيان أعمال من نوع خطر أو مناف للأخلاق أو تخريبى مثل قتل شخص ، إشعال النار فى مكان ما ، التمثيل بالحيوانات أو انتهاك حرمة الأماكن المقدسة .

(٦) الخوف المستمر من خطر وهمى أو بعيد الاحتمال . كالخوف من فقدان شىء ذى قيمة ؛ من الخجل ؛ من التراب ؛ من الحريق .

(٧) العناد . الميل إلى السيطرة وتحكيم الإرادة والمهاجمة .

(٨) المبالغة فى النظام والشعور بالمسئولية وإتقان العمل إلى حد الكمال .

(٩) الأرق (وهو ليس نادر الحدوث) .

مای سمیث وأحمد زکی